

## تفسير البحر المحيط

@ 267 @ وقد تقدّم قول المفسرين في طوله ، ونبه على استحقاق طالوت للملك باصطفاء  
□ له على بني اسرائيل { وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ  
الْخِيَرَةُ } وبما أعطاه من السعة في العلم ، وهو الوصف الذي لا شيء أشرف منه :  
إِنَّ زَمًّا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ { أنا أعلمكم با□ ومن بسطة الجسم  
، فإن لذلك عظماً في النفوس وهيبة وقوّة ، وكثيراً ما تمدّحت العرب بذلك قال الشاعر :  
% ( فجاءت به سبط العظام كأنما % .  
عمامته بين الرجال لواء .  
% ) .  
وقال : % ( بطل كأن ثيابه في سرحة % .  
يحدى نعال السبت ليس بتوأم .  
% ) .  
وقال : % ( تبين لي أن القماعة ذلة % .  
وان أعزاء الرجال طيالها .  
% ) .  
وقالوا في المدح : طويل النجاد رفيع العماد ، وكان رسول □ صلى □ عليه وسلم ) ، إذا  
ماشى الطوال طالهم . قال ابن زيد : كانت هذه الزيادة بعد الملك ، وقال وهب ، والسدسي ،  
قبل الملك ، فالمعنى : وزاده على غيره من الناس بسطة ، بالسين ، أبو عمرو ، وابن كثير  
، و : بالصاد نافع ، وابن كثير ، رواية النقاش ، وزرعان ، والشموني . وزاد : لئن بصطت  
، وبباصط ، وكباصط ، ومبصوطتان ، ولا تبصطها كل البصط ، وأوسط ، وفما اصطاعوا : ويصطون  
، والقصطاس ، وروى نحوه : أبو نشيط عن قالون . .  
{ وَاللَّهِ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ } ظاهره أنه من  
معمول قول النبي لهم ، لما علم بغيتهم في مسائلهم ومجادلتهم في الحجج التي تبديها ،  
أتم كلامه بالأمر القطعي ، وهو أن □ هو الفاعل المختار ، يفعل ما يشاء . ولما قالوا :  
وَنَزَحْنُ أَحْقَ بِالْمُلْكِ مِنْهُ { فكان في قولهم ادّعاء الأحقية في الملك ، حتى  
كأن الملك هو في ملكهم ، أضاف الملك إلى □ في قوله : ملكاً ، فالملك ملكه يتصرف فيه  
كما أراد ، فليستم بأحق فيه ، لأنه ملك □ يؤتیه من يشاء ، وقيل : هاتان الجملتان ليستا  
داخلتين في قول النبي ، بل هي إخبار من □ تعالى لنبيه صلى □ عليه وسلم ) ، فهي

معتضة في هذه القصة ، جاءت للتشديد والتقوية لمن يؤتية اﷻ الملك ، أي : فإذا كان اﷻ تعالى هو المتصرف في ملكه فلا اعتراض عليه { لَا يُسْأَلُ عَمَّا سَفَعَالُ } { وَيَفْعَلُ } وختم بهاتين الصفتين ، إذ تقدّم دعواهم أنهم أهل الملك ، وأنهم الأغنياء ، وأن طالوت ليس من بيت الملك ، وأنه فقير فقال تعالى : إنه واسع ، يوسع فضله على الفقير ، عليم بمن هو أحق بالملك ، فيضعه فيه ويختاره له . .

وفي قصة طالوت دلالة على أن الإمامة ليست وراثية ، لإنكار اﷻ عليهم ما أنكروه من التملك عليهم من ليس من أهل النبوة والملك ، وبين أن ذلك مستحق بالعلم والقوة لا بالنسب ، ودل أيضاً على أنه لا حظ للنسب مع العلم ، وفضائل النفس ، وأنها مقدّمة عليه لاختيار اﷻ طالوت عليهم ، لعلمه وقدرته ، وإن كانوا أشرف منه نسباً . .

وقد تضمنت هذه الآيات الشريفة الإخبار بقصة الخارجين من ديارهم ، وهم عالم لا يحصون ، فراراً من الموت ، إما بالقتل إذ فرض عليهم القتال ، وإما بالوباء ، فأما تهم اﷻ ثم أحياءهم ليعلموا أنه لا مفر مما قدّره اﷻ تعالى ، وذلك لئلا نسلك ما سلكوه ، فنحجم عن القتال ، فأنت هذه الآية مثبتة لمن جاهد في سبيله ، وذكر تعالى أنه ذو فضل على الناس ، وذلك بإحيائهم والإحسان إليهم ، ومع ذلك فأكثرهم لا يؤدّي شكر اﷻ . ثم أمر بالقتال في سبيل اﷻ ، وبأن نعلم أنه سميع لأقوالنا ، عليم بنياتنا ، ثم ذكر أن من أقرض اﷻ فإﷻ يضاعفه حيث يحتاج إليه ، ثم ذكر أن